الفصل الرابع

الوصفات العلاجية

أشرت من قبل الى أن هناك أكثر من سبيل لتصنيف الوصفات الطبية العلاجية التى يحتفظ بها المعتقد الشعبى فى مدوناته أو فى صدور الناس • وقد رأيت أن أصنف هذه الوصفات حسب موضوع الوصفة ، ففى الفقرة أولا نتناول طائفة من تلك التى تدور حول عنصر معين وخصائصه العلاجية المختلفة • ونستعرض فى الفقرة ثانيا وصفات علاج مرض معين أو عدة أمراض • بينما تغطى الفقرة ثالثا الادوات والعمليات الجراحية ، ثم نختتم هذا الفصل بالفقرة رابعا عن الخصائص العلاجية لبعض العيون المائية •

أولا ــ العناصر العلاجية :

يمكن القول بأن كل المواد المتاحة فى هذا الكون من كائنات حية أو جمادات تصلح لاستخدامها علاجا لمرض أو عدد من الامراض ، وهى يمكن أن تستخدم كما هى ، بحالتها البسيطة العادية • أو بعد معالجتها ، وأحيانا تنتخب مفردات منها ذات مواصفات خاصة كما سنرى تفصيلا فيما يلى •

تأتى على رأس هذه القائمة النباتات بأنواعها وفى مقدمتها التوابل • فنجد آلاف الوصفات من الكزبرة والكمون ، والقرفة ، والسعتر (أو الصعتر) ، والبابونج (الشيح) • والقرنفل ، وجوزة الطيب ، والمصطكى (أو المستكى) ، والشوينز (الحبة السوداء ، أو الكمون الاسود) ، واللبان ، والفلفل ، والصمغ ، والبهان (حب الهان أو الهيل) ، والنعناع ، والميعة ، والخولنجان ، والدارجين (نوع من القرفة) •• الخ •

كذلك تدخل الزهور كعناصر علاجية فى عديد من الوصفات الطبية • ومن الزهور المستخدمة : النرجس ، والورد ، والبنفسج ، والياسمين ، والسوسن ، والحناء ••• الخ •

أما الفواكه فتستخدم هى الاخرى على نطاق واسع . نذكر من بينها : السفرجل ، والمشمش ، والليمون ، والخوخ ، والكمثرى ، والموز ، والرمان ، والتين ، والعنب ، والنبق ، والجميز ، والتوت ... الخ .

ويمكن أن نضيف مجموعة أخرى من الخضروات والحبوب . أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : القمح . والزيت (بانواعه) ، والافيون . والزيتون ، والجوز . واللوز . والبصل . والكرفس . والعدس . والقثاء . والسمن ، والرجلة ، والجرجير ، والخس ، والثوم . والجزر . والفجل . والكرنب . والباذنجان . والقرع . والكتان ، والكحل . والحمص . والشعير ، والتمر هندى . والكثيراء . والشبت . والخروع ، والبرسيم ، والملح ، والقطران ، والطوب (؟) . والينسون . والخل ، والكراويا ، وعسل النحل ، والسنا ، والنبق ... الخ .

أما الحيوانات فتدخل فى اعداد الوصفات الطبية بأنواعها ، ويمكن أن تطول هذه القائمة لتضم كل الحيوانات المعروفة (بل وغير المعروفة أحيانا) . تدخل كلها أحيانا قليلة ، أو بعض أعضائها فى الاغلب الاعم ، وكذلك افرازاتها ، وأيضا فضلاتها . هذا بالطبع علاوة على افرازات الجسم الانسانى نفسه كما سنرى فى عدد من الوصفات التى ستعرض فى الفقرات التالية .

ولن يتسع المجال بطبيعة الحال لكى أقدم نموذجا لكل عنصر من هذه العناصر واستخداماته الطبية . ولكننا يحسن أن نقتصر على استعراض بعض النماذج الممثلة . ونأخذ فى البداية الرمان الذى يحظى بمكانة خاصة فى كتب التراث . وأقتبس فيما يلى بعضا من حديث النويرى عن الخصائص العلاجية للرمان ، حيث يقول فى نهاية الارب : « ... وحب الرمان مع العسل طلاء للداحس والقروح الخبيثة ، وأقماعه للجراحات ولاسيما المحترقة ، ... وحب الرمان بالعسل ينفع من وجع الاذن ، وهو طلاء

لباطن الانف ، وينفع حبة مسحوقا مخلوطا بالعسل من القلاع(٣٠) طلاء ، ••• واذا سقى حب الرمان فى ماء المطر منع نفث الدم ، وجميعه ينفع من الخفقان ••• وسويقه مصلح لشهوة الحبالى، مدر للبول، وسويق الرمان ينفع من الاسهال الصفراوى »(٣١) •

الا أن هناك بعض أصناف الفاكهة أو الحبوب التى تصلح كلها ، ولكن بعض الثمار منها تكون ذات مواصفات (طبيعية) خاصة ، ومن ثم تفيد تلك الوحدات فى علاج حالات مرضية بالذات • ونسوق المثل التالى : يقول النويرى فى حديثه عن خصائص التين بصفة عامة : « ••• أخبرنى من يرجع الى قوله ويوثق بنقله من حكام المسلمين أن بثغر الاسكندرية صنفا من التين أسود يسمى الغرابى ، اذا نضج يكتب بالبياض • فربما وجد فى بعضه مكتوبا اسم الله تعالى •• وأخبرنى أيضا أنه رأى ذلك كثيرا • وأخبرنى أنه أخبر من ثقات أن فيه ما يوجد مكتوبا عليه : (لا اله الا الله محمد رسول الله) • وسألته : هل يتخيل على ذلك بشىء ، فقال : لا ، وأنه خلقه من الله تعالى ، فسبحان القادر على كل شىء »(٣٢) • ثم يستطرد بعد ذلك فى شرح الخصائص الطبية العلاجية لهذه الثمرات ذات المواصفات الخاصة النادرة •

ونحن نعرف تماما كيف أن شيخ الزار ، أو الساحر المحترف عندما يطلب من عميله بعض أنواع الحيوانات أو ثمار النباتات تكون فى الغالب من تلك التى تتميز بلون نادر أو علامة مميزة فى جسم الحيوان ، أو حجم أو هيئة خاصة ، مما سيرد الاشارة اليه فى الفصل الخاص بالزار (أنظر الفصل الثالث من الباب السادس) •

---

(٣٠) القلاع : قرحة فى حلقة الفم واللسان ، ويتعرض لها الاطفال الرضع لرداءة اللبن أو عدم هضمه فى المعدة .

(٣١) النويرى ، نهاية الارب فى فنون الادب ، مرجع سابق ، الجزء ١١ ، ص ١٠٠ .

(٣٢) النويرى ، نهاية الارب فى فنون الادب ، مرجع سابق ، نفس الجزء ، ص ١٥٤ .

ويشترط فى أحيان أخرى أن يكون النبات المستخدم مزروعا فى مكان معين ، ففى هذه الحالة تكون لثمار ذلك المكان شهرة أو كفاءة علاجية خاصة يقول السخاوى فى « تحفته » : ... المطرية هى قرية فيها البستان الذى يزرع فيه البيلسان ويستخرج منه الدهن وخاصيته عظيمة لجبر الكسر وغيره »(٣٣) .

كما نقرأ عن بعض النباتات التى تصلح فى علاج مرض معين أو عدة أمراض ، ولكنها تفيد فى نفس الوقت طائفة بأكملها من الناس . اذ يقول النويرى عن الياسمين من بين ما يقول : ... ان دهنه ينفع المشايخ . هكذا على الاطلاق دون تحديد لسن أو مكان أو زمان (!)(٣٤) .

ولكن هناك نباتات أخرى تتمتع بخصائص طبية بارزة ؛ ليس فى بلادنا فحسب وانما فى معظم ثقافات العالم ، بصرف النظر عن خصائصها المخدرة المذمومة . ألا وهى نبات الخشخاش (الذى اشتهر باسم الحشيش) ، والافيون وما اليهما . ويتحدث الازرق عن خصائص نبات الافيون قائلا : « بارد يابس اذا خلط بالخل أذهب الحمرة والجراحات . واذا طبخ به عليها ، وقد ورد ذكره فى السمومات فقالوا انه يعترى لمن شربه خدر الاطراف وبردها وقله (؟) وظلمة العين والموت . وهو يغلظ الدم ويرد الروح والشربة القاتلة منه وزن درهمين وقيل لا يقتل الا أربعة . ولهذا يقال ينبغى لمن يخاف القوافل أن لا يأنس الى ذوق من يذوق ذلك ، فانه قد يكون فيه مثل الافيون . واذا كان قليلا جاز قطعا وكذا ان كان كثيرا على الاصح وبه جزم .. ان فيه منفعة فى الجملة . وأما أكله فى الضرورة فجائز اذا لم يضر الجسم ، ولكن من المعلوم أنه

---

(٣٣) أبو الحسن السخاوى ، تحفة الاحباب وبغية الطلاب ، ص ١١ ؛ وقد عده ابن اياس فى تاريخه من معالم مصر ، اذ يقول عنها ، « وبها دهان البيلسان ولا يوجد الا بها فى أرض المطرية وهو الذى تتغالى ملوك النصارى فى ثمنه . ولهم فيه اعتقاد عظيم » ، انظر ابن اياس ، بدائع الزهور ، الجزء الاول ، ص ٥ .

(٣٤) النويرى ، المرجع السابق ، الجزء ١١ ، ص ٢٣٦ .

يضر بالجسم فى الغالب مع من هو مداوم على أكله ، وقد يقضى باكله ما لا يليق بقدر الشخص من ... المروءة وفعل القبيح وعدم الحياء . وهو شعبة من شعب السحر يحسن القبيح ويقبح لهم الحسن ويريهم أشياء على خلاف حقيقتها ويخيل الخيالات الباطلة »(٣٥) .

وهناك عدا العناصر النباتية على اختلافها العناصر الحيوانية ذات الخصائص العلاجية المفيدة . ويمكن أن نضرب المثل من الاستخدامات الطبية التى يوردها الدميرى فى حياة الحيوان عن الحية وأجزائها المختلفة : فمرق لحم الحية يقوى البصر (ص ٢٨٤) ، ولحوم الحيات من حيث الجملة تسخن وتجفف وتنقى البدن وتحلل منه أسقاما (ص ٢٨٤ أيضا) ، ويؤخذ سلخ الحية مقليا وقشورا ... ويبخر به صاحب البواسير الظاهرة والباطنة المتعلقة ، فانها تسقط (نفس الصفحة) ، وبيض الحية يدق مع ورق وخل ويطلى به البرص الجديد يقطعه . وقلب الحية يذهب الحمى . واذا علق ناب الحية على من به وجع الاسنان نفعه وسكن وجعها . ليس هذا فحسب بل ان سلخ الحية اذا وضع فى ثياب لم تسوس . « وان أحرق وعجن بزيت طيب وحشى به الضرس المتآكل أبرأه ، وان سحق مع رأسها وجعل على داء الثعلب أنبت الشعر » . (نفس المرجع والصفحة) .

ونقتبس من الدميرى أيضا نموذجا آخر من حديثه عن طائر السلوى(٣٦) . « اذا علقت عن طائر السلوى على الشخص الارق شفى ، واذا اكتحل بها نفع من وجع الكبد ، ومرارته تخلط بزعفران ... ويطلى به البهق (البهاق) الاسود يقطعه ، وزبله يسحق ويذر على القروح المتآكلة ينفعها . واذا دفن رأسه فى برج حمام زال عنه سائر الهوام .

---

(٣٥) الازرق ، تسهيل المنافع ، مرجع سابق ، ص ٥٧ .
(٣٦) السلوى : طائر أبيض مثل السمان ، واحدته السلوه .

ورأسه اذا بخر به أزال الارضة منه »(٣٧) .

واذا انتقلنا الى العناصر الحجرية وجدناها معروفة هى الاخرى كمواد علاجية فى كثير من الوصفات . خاصة اذا اختلطت الاتربة المستخرجة من أعشاش بعض الطيور بفضلات تلك الطيور ، فانها تكون بالتأكيد ذات خصائص علاجية أقوى . اذ يقول الدميرى فى « حياة الحيوان » أنه « اذا أخذ الطين من عش الخطاف وأضيف اليه الماء وشرب أدر البول » . (ص ٢٩٥ من الجزء الاول) .

وفى موضع آخر من حياة الحيوان يحكى الدميرى عن حجرين من نوع خاص : « قال الاسكندر يوجد عند أول بطن من بطون الخطاطيف فى أعشاشها أول ما يبرزن ويظهرن فى العش حجران أبيضان أو أبيض وأحمر . ان وضع الابيض على المصروع أفاق ، وان وضع على المعقود (الذى عقد بواسطة عمل سحرى) حله . والاحمر ان علق على من به عسر بول أبرأه . وربما وجد هذان الحجران مختلفى الاحوال أحدهما طويل والآخر ململم . ان جعلا فى جلد عمل وعلقا على من به وسواس وتخيل أبرأه . ولا يوجدان الا فى العش الذى يكون فى ناحية المشرق دون غيره »(٣٨) .

وهناك نموذج هام يستخدم فيه الطوب النيىء لعمل كمادات لعلاج الثقل (أسفل الجسم) ، ننقله عن ابن الحاج صاحب « المدخل الى الشرع الشريف » ، حيث يقول : « ... كان رحمه الله اذا شكا له أحد بمرض الثقل يشير عليه بأن يأخذ لبنة من الطوب النيىء ويجعلها فى الفرن حتى تحمى ثم يخرجها ويجعل عليها شيئا من الغلية ويأخذ خرقة فيبلها بالماء ثم يجعلها فوق ذلك ثم يجلس عليها من غير حائل ويتحمل

---

(٣٧) الدميرى ، حياة الحيوان الكبرى ، الجزء الثانى ، مرجع سابق ، ص ٢٦ .

(٣٨) الدميرى ، المرجع السابق ، الجزء الاول ، ص ٢٩٥ .

حرارتها ما قدر عليه الى أن تبرد • يفعل ذلك مرة فى كل يوم حتى يبرأ • وقد جربه غير واحد فبرأ »(٣٩) •

واذا كنا نتحدث عن الاستخدامات الطبية للاحجار فاننا لا ننسى بالطبع الكحل والدور الكبير الذى يحتله فى المعتقد الشعبى ، ليس كاداه للزينة فحسب ، وانما كعلاج لبعض أمراض العين أيضا ، ولتقوية البصر وجلائه كذلك(٤٠) •

وتدخل افرازات الانسان فى عديد من الوصفات العلاجية ومن أهمها الاظافر ، والشعر ، والعرق ، وصماخ الاذن ، والبول ، والبراز ، والدم، والمنى ••• الخ • وهى فى هذه الحالة تمثل أسلوبا فى التفكير والسلوك يقف على عتبة مشتركة بين الطب الشعبى والسحر •

ولا شك أن هذه الافرازات تزداد قوة وفاعلية عندما تضاف اليها أجزاء من الحيوانات أو افرازاته • ونضرب المثل التالى من النويرى حيث يقول : « خذ أظفار الهدهد وأظفار نفسك ، فاحرقهما جميعا واسحقهما حتى يصيرا ذرورا • ثم اجعل ذلك فى قدح طلاء ، واسقه أى امرأة أردت وهى لا تعلم ، فانها ••• »(٤١) •

وسوف ترد فى بقية هذا الفصل بعض النماذج التى تستخدم فيها هذه الافرازات ، كما فى الوصفات الواردة فى الفقرة التالية عن علاج الرمد (نقلا عن الرحمة فى الطب والحكمة للسيوطى ، والتى أوردها الشقيرى فى كتابه) • ولكن موضوع افرازات الانسان سيعالج بشكل

---

(٣٩) ابن الحاج ، المدخل الى الشرع الشريف ، الجزء الثالث ، مرجع سابق ، ص ١٦٩ .

(٤٠) انظر وليم لين ، المصريون المحدثون . مرجع سابق ص ص ٣٧ — ٣٨ .

(٤١) النويرى ، نهاية الارب فى فنون الادب ، مرجع سابق ، الجزء الثانى عشر ، ص ٢١٨ .

متكامل فى الباب السادس من هذا الكتاب الذى يتناول ضمن فصـــوله المعتقدات الخاصة بالانسان والجسم الانسانى •

ثانيا ــ وصفات لعلاج أمراض معينة :

من الواضح أننا لا نستهدف ــ كما أننا لا نســتطيع ــ أن نحيط بكل الامراض التى تتصدى الوصفات الطبية الشعبية لعلاجها • ذلك أنها أولا تضم كل الامراض المعروفة قديما وحديثا ، ثم أنها ثانيــا ــ ترد ضمن حديثنا على طول هذا الباب الخاص بالطب الشعبى ، حيث يطالع القارىء فى هذه الفقرة أو تلك من فقرات البــاب أســماء عشرات من الامراض التى يدور الحديث عنها • ولكننا نلاحظ مع هذا كلف المعتقد مشكلة بارزة ، كما أن بعضها كان يستعصى على طب تلك الايام ، فكان هو الآخر مشكلة حادة تتحدى جمهور المشتغلين بالطب الشعبى على أوسع نطاق يمكن تصوره • ومن هذه الامراض ذات الاهمية الخاصــة نذكر : أمراض العيون بأنواعها ، والحمى بأنواعهــا ، والصــداع ، وأمراض الاسنان ، والامراض النفسية والعصبية (وأبرزها الصرع) ، والامراض الجلدية والسرية ، وأمراض الجهاز الهضمى ، وأمراض العظام ، وأمراض النساء (خاصة مشكلة العقم) ، وأمراض الاطفــال (خاصــة وفيــات الاطفال الرضع) ، وعلاج النحافة الزائدة والسمنة الزائدة ، والضعف العام ، ولدغ الحشرات والحيــات ، والاورام بأنواعهــا ، والامراض الوبائية كالجدرى والجذام •

لذلك سوف يقتصر حديثنا فى هــذه الفقرة على اســتعراض بعض النماذج لطائفة من الوصفات التى تستهدف علاج بعض الامراض ، دون أى محاولة للحصر أو التعمق فى التفاصيل •

قلنا ان أمراض العين كانت على رأس الامراض التى تحفــل كتب الطب الشعبى ووصفاته المتداولة بعلاجات لها • وفى هذا يقول الشقيرى

عن علاج أمراض العين : « لعلاج العين الحمراء يعلقون خرزة حمـــراء لتلتقط احمرارها ، ومنهم من يعلق قطعة لحم صغيرة بخيط فوق العين ، ومنهم من يسخن روث البهائم ويضعها على العين المرمودة أو يضـــعون بصلة بشيح على العين • كذلك من علاج العين أن يؤخذ دم الحائض التى لم يمسها رجل ويخلط مع المنى ويكتحل به فانه يقطع البياض من العين • ويكتب للرمد : قل هو الله أحد ، ان فى العين رمد ، احمرار فى البياض ، حسبى الله الصمد ، يا الهى باعترافى فى اعتزالك عن ولد • عاف عينى يا الهى واكفنى شر الرمد ، ليس لله شريك لا ولا كفو أحد • وقال أيضا، فائدة : من حفظ هذين البيتين لم يرمد أبدا :

يا ناظـــرى بيعقـــوب أعنـــدكما بما استعاذ به اذ مســـه الكمـــد
قميص يوسف اذ جاء البشـــير به بحق يعقـــوب اذهب أيها الرمـــد

ويقال أعيذهما (العين) برب عيسى وقل هو الله أحد • حجب بها حامل كتابى هذا • عابس وشهاب قابس وليل داحس وبحر طامس وحجر يابس وماء قارس ونفس نافس من عين المعيان وحســـده ، جاعت فجعجعت • طارت فاستطارت وفى علم الله صارت »(٤٢) •

ويورد وليم لين مزيدا من التفاصيل عن العـــلاج الشعبى لامراض العيون المنتشرة على نطاق واسع ، ويلفت نظره من بين ما يلفت قوله : « ••• ويعتبر المصريون أن غسل العين أو حتى لمسها ، عندما يسيل منها الصديد الذى يجذب الذباب ، مضر بها • ويؤكدون أن فقد البصر قـــد ينتج من كثرة لمس العين أو غسلها عندما تصاب بهذا السيلان ، غافلين أن الغسل انما يلطف الالم »(٤٣) •

---

(٤٢) الشقيرى ، السنن والمتبرعات ، مرجع سابق • ص ص ٣٢٥ — ٣٢٧ . نقلا عن الرحمة فى الطب والحكمة للسيوطى .
(٤٣) وليم لين ، المصريون المحدثون ، مرجع سابق ، ص .
(٤٤) ابن الحاج ، المدخل الى الشرع الشريف ، مرجع سابق ، الجزء الثالث ، ص ١٦٥ .

ويقدم لنا ابن الحاج فى « مدخله » وصفه لعلاج الشعر الذى يخرج فى العين يقول فيها : « ... يأخذ الأثمد ويشويه فى النار ثم يدقه ويعجنه بالزيت المذكور • يفعل ذلك سبع مرات ثم يدقه ويكتحل فى كل يوم مرتين أو ثلاثة ان قدر ففعل • فكلما كان بعد فراغه من سابع مرة جاء ليدقه فلم يقدر لكثرة رطوبته ونعومته فعمل منه مثل الميل الذى يكتحل به كل يوم فبرأ وراد بصره حسنا وقوة »(٤٥) •

وتحول قائمة الوصفات التى تدور حول علاج الرأس : الصداع • وبرودة الدماغ • وحرارة الدماغ • والدوخة •• الخ • ومن بين الوصفات البدوية لعلاج الصداع : دهان الرأس بالخل المستخرج من عسل النخيل. وعمل لبخات من الحلفاء والملح على قورة الرأس • ومضغ اللبان ووضعه على الصدغين • وتعصيب الرأس بدكة من القماش تشد جيدا بمفتاح من محل لآخر حتى يتم الشفاء • وهذه الطريقة معروفة فى أغلب انحاء مصر. يمارسها كل الناس بأنفسهم • وهى تتطلب وجود شخص ثان يقوم بالشد للشخص المريض • وأخيرا فان الحجامة (وهى فصد الدم من الصدغين) من وسائل علاج الصداع المزمن الذى يتميز بخطورة أو بشدة خاصة • وسيأتى الكلام عن وصف عملية الحجامة تفصيلا فيما بعد •

ونطالع عند ابن الحاج — فى المدخل — وصفة لعلاج الدوخة يقول فيها : « شكا بعض الناس بدوخة فى رأسه فرأى النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فأعطاه هذا الدواء لهذا المرض وهو أن يأخذ قرفة وزنجبيلا وقرنفلا وجوزة طيب وسنبلا من كل واحد درهم ونصف ووزن درهمين من الشونيز(٤٦) • يدق الجميع ثم يطبخ ويعقد بعسل النحل فاذا قرب استواؤه عصر عليه قليل من الليمون • ويكون العسل النحل غالبا عليه ، ففعل فبرأ »(٤٧) •

---

(٤٥) ابن الحاج ، مرجع سابق ، الجزء الثالث ، ص ١٦٧ .
(٤٦) الشونيز هو الحبة السوداء (أو الكمون الاسود) .
(٤٧) ابن الحاج ، المدخل الى الشرع الشريف ، مرجع سابق ، الجزء الثالث ص ١٦٦ .

أما الحمى فهى كما نعرف مفهوم عام يشير الى الارتفاع الشديد فى درجة حرارة الجسم • ولذلك فهى ليست مرضا واحدا ، وانمـا هى عرض لعديد من الامراض ذات الاسباب المتباينة والطبائع المختلفـة • ولذلك فاننا لا يمكن أن نقدم نماذج لعلاجها ، لانها أكثـر من أن تحصى وأوسع من أن تصنف بشكل مرض(٤٨) •

كما تمثل مجموعة الامراض النفسـية والعصبية ميـدانا بارزا من ميدان الطب الشعبى ، فتضم تحتها أمراض الصرع (الذى يعد ناشئا عن مس شيطانى أو تأثير روح شرير يحل فى الجسم) ، والجنـون (هكذا بشكل عام) ، وكثرة النسيان ، وعدم الفهم ••• الخ •

وتوضح لنا الوصفة التالية عند الشقيرى التصور الشعبى لطبيعـة مرض الصرع ، ومن ثم الاسلوب المناسب لعلاجه ، فيقول : « فى علاج المصروع : أولا : ذكر الله تعالى فلا شىء أقوى على طرد الشيطان من ذكر الله تعالى بالقلب والتدبر ومراقبته فى السر والجهر وأفضله وأعلاه تلاوة القرآن • ثانيا : قراءة آية الكرسى عند النـوم لخبر البخارى اذا أويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسى فانه لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان »(٤٩) •

ومن الوصفات العديدة لعلاج الجنون فى مجربات الديربى : « وأما دواء الجنون وطيشان الدماغ فدواؤه حب البرسيم يسحق ويعجن بماء ساخن ويلزق على الرأس »(٥٠) •

---

(٤٨) وان كان كلوت بك يشـير فى كتابه « لمحـة عامة الى مصر » الى الاسلوب الشائع فى علاج الحمى بين المصريين ، حيث يعمدون الى تدفئة الجسم بشدة (على عكس ما ينصح به الطب الحديث) واستعمال الماء ، ثم يقول « ولكنهم قبل اشتداد المرض يسارعون الى الحمام ليستثيروا فيه العرق الغزير الذى يوقف المرض غالبا » . انظر ، لمحة عامة الى مصر ، مرجع سابق، الجزء الثانى ، ص ٥٧٨ .

(٤٩) الشقيرى ، السنن والمبتدعات ، مرجع سابق ، ص ص ٣٢٢ — ٣٢٣ .

(٥٠) الحسنى ، مجربات الديربى ، مرجع سابق ، ص ٩٧ .

كذلك أشرنا فى مقدمة هذا الفصل الى أن أمراض النساء هى احدى مجموعات الامراض التى يحفل الطب الشعبى بعديد من الوصفات لعلاجها . وبعضها خاص بانتظام الدورة الشهرية عند المرأة وما يصاحبها من مشكلات ، وبعضها لعلاج النزيف أو وقفه ، أو تجنب حدوثه . وكثير منها لعلاج السقط (نزول الجنين قبل موعده) . خاصة بالنسبة للمرأة التى يتكرر عندها هذا ولا يستقر فى أحشائها جنين (وتعرف باسم « المرأة المتعوقة ») ... الخ . ولكن أهم تلك الامراض النسائية على الاطلاق هى بلا شك مشكلة العقم ، حيث يمثل هذا الظرف المرضى مشكلة لأبناء العصور الماضية والقطاعات الشعبية العريضة حاليا . أولا لان الانجاب فى ذاته رمز لأنوثة المرأة وتأكيد لوجودها ودعم لحقوقها فى بيتها . ثم هو قيمة اجتماعية اقتصادية فى ذاته بسبب نظرة الاسرة العربية التقليدية الى الاولاد .

ومن الوصفات التى نطالعها عند الازرق لتيسير الحمل فى سياق حديثه عن نبات البعيثران : « البعيثران وهى شجر طيب الرائحة . واذا سحق وعجن بعسل واحتملته المرأة بصوفة سخن الدم البارد وحسن حالها وأعانها على الحبل . ولو كانت المرأة عاقرا ... وهو من الادوية النافعة المجربة الصحيحة للحبل ان شاء الله تعالى »(٥١) .

ومن الامراض الجلدية والمعدية نذكر : الجدرى ، والجرب ، والقراع ، والحصبة .. الخ . ويعمد البدو — فى مصر — الى علاج الجدرى بتبخير المصاب بشعر الضبع أو بجلد القنفذ . أما الجرب فيعالجونه بأكل لحم الكلب أو الاستحمام فى عين معروفة فى سيوه مياهها كبريتية .

ويورد أحمد أمين وصفة شعبية لعلاج القراع يقول فيها :

---

(٥١) ابن ابى بكر الازرق ، تسهيل المنافع فى الطب والحكمة ، مرجع سابق ، ص ٦١ .

« القـراع : يداوونه أحيـانا بأدوية قاسـية فقـد يلطخون الـرأس الأقرع بالزفت مضـافا عليـه بعض الادوية • ويغطـون ذلك بطاقية ، ويربطونها • ثم يتركون الزفت أسـبوعا ، ثم يخلعون الطاقيـة بزفتها يشدونها شدا فيجد الأقرع من ذلك ألما شديدا • ويكررون هذه العملية مرارا وقد تنجح وقد لا تنجح »(٥٢) •

وفى وصفة عند ابن الحاج لعلاج الحصبة « أن يأخذ شيئا من عسل النحل وشيئا من خل العنب وشيئا من الزيت المرقى ويخلط الجميع ويدهن به ، فعمله خبرأ »(٥٣) •

وتضميد الجراحات من أهم مجالات العلاج الشعبى خاصة عنـد البدو ، الذين يتمتعون بمهارات عالية فى هذا المجال ، بسبب كثرة ماكانوا يتعرضون له منها فى حروبهم وصراعاتهم العنيفة • ويقوم جراحو البدو بخياطة الجروح ويغسلونها كل يوم بمستحلب بعر الحمير أربعة أيام • كذلك يغسلون البصل بالماء ويصفونه ويغسلون به الجـراح ويسـقون العليل منه لمنع تعفن الجرح ودفع أذى الرائحـة • ثم يغسـلون المـر بالسمن ويجعلونه دهانا فيدهنون به الجراح أربعين يوما حتى تبرأ(٥٤) •

ومن الوصفات التى يحويها كتاب « تسهيل المنافع » لعلاج الجروح تلك التى يستخدم فيها « دم الاخوين » : « وهو المسمى عند أهل اللغة بالعندم (؟) وهو صمغ شـجرة أحمر شـديد الحمرة نافع للجراحات الجديدة وغيرها ، ويلحم الجرح الطرى سريعا • وهو قوى النفع جـدا وينفع أيضا لقروح الرئة اذا طليت به »(٥٥) •

---

(٥٢) أحمد أمين ، قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية ، مرجع سابق ، ص ٣٢٢ .

(٥٣) ابن الحاج ، المدخل الى الشرع الشريف ، مرجع سابق ، الجزء الثالث ، ص ١٦٦ .

(٥٤) صاحب هذه المعلومة الدكتور نبيل صبحى حنا جمعها أثناء دراسته الميدانية لرسالة الماجستير السابق الاشارة اليها .

(٥٥) الازرق ، تسهيل المنافع ، مرجع سابق ، ص ٥٥ .

ويلجأ اشراف بدو العبابدة والبشايرة الى علاج الجروح الكبيرة بوضع أطار من الطين حول الجرح ، ثم يقومون بصب السمن المغلى فوق الجرح •

أما الحروق فتعالج عند بدو سيوه بعمل لبخة من النخالة أو عمل ألواح ساخنة من الصبار أو تدهن بدهان منقوع عنب الديب •

ومازالت أمراض الاسنان من أكثر الامراض التى تدور حولها الوصفات الطبية الشعبية ، ومن أحدث المجالات التى بدأ الناس يلجأون فى علاجها الى الاطباء المتخصصين • ليس هذا فى بلادنا فحسب ، ولكنه ظاهرة شعبية عالمية تصدق فى أكثر بلاد العالم ، وتنسحب على الامراض النفسية والعصبية أيضا • ولذلك نصادف عديدا من الوصفات الخاصة بعلاج الاسنان • فعند بدو سيوه يعالجون أمراض الاسنان بغلى الشاى الاخضر واستعماله كمضمضة • وكذلك يقومون بتشويح بصلة صغيرة على النار ، ثم توضع على مكان الالم ، وأخيرا يمكن أن تعمل لبخة من البيض الساخن وتوضع على السنة المؤلمة •

وبعد فان قائمة الامراض التى تعالجها الوصفات الطبية الشعبية يمكن أن تطول الى مالا نهاية • ولكننا لا ننسى الاشارة الى بعض النماذج الطريفة منها • اذ تحوى المدونات الشعبية وكذلك يحفظ المعتقد الجارى فى صدور الناس عديدا من الوصفات التى تستهدف ازالة الوشم • حيث يقول الدميرى « ان ورق شجر الجميز يقلع آثار الوشم اذا دلك بالحصارة »(٥٦) • ومن الاغراض الطريفة أن يستطيع الانسان السهر ، وذلك لنفسه اذا كان يبغى الدراسة والتحصيل أو العبادة ، أو لغيره اذا كان يهدف الى ايذائه والحاق الضرر به • ويصف الدميرى لحم الخطاف (طائر) بأنه « يورث السهر لآكله »(٥٧) •

---

(٥٦) الدميرى ، حياة الحيوان الكبرى • مرجع سابق ، الجزء الثانى ، ص ١١ •

(٥٧) المرجع السابق ، الجزء الاول ، ص ٢٩٥ •

ثالثا ــ العمليات والادوات الطبية :

تتعرض هذه الفقرة لانواع العمليات الجراحية أو العلاجية بصفة عامة ، مع الاشارة كلما أمكن ذلك الى ما يستخدم فى تلك العمليات من أدوات أو معدات طبية • فهناك بعض أغراض العلاج ــ كالروماتيزم أو أمراض الاسنان أو غيرهما ــ مما لا يجدى فيه الاعتماد على الوصفات الطبية التقليدية وحدها • ومن ثم يتحتم فى مثل هذه الاحوال تجربة وسائل أخرى كدفن الجزء المريض من الجسم أو الجسم كله فى حالات الروماتيزم أو خلع الضرس المريض بعد أن يتعذر علاجه وهكذا • ثم هناك حالات أخرى لا يصح فيها منذ البداية الا اللجوء الى العمليات الجراحية أو بعض الممارسات الخاصة : كالكى أو البتر أو غير ذلك •

ونحن فى هذه الفقرة كما هى القاعدة فى هذا الباب لا نستهدف ــ كما أننا لا نستطيع ــ الاحاطة الكاملة بكل العمليات العلاجية ولا بكل الادوات الطبية المعروفة • فهذا مما يتطلب مجلدات بأكملها فى موضوع الطب الشعبى يقصر عن تحقيقه هذا المدخل العام الذى نحن بصدده • ولذلك فليقبل القارىء الحالات والعمليات التالية كنماذج وأمثلة تنير الطريق أمام الباحثين فى هذا الميدان الهام من ميادين المعتقد الشعبى ، وتقدم فكرة على قدر كاف من الوضوح لمن يلتمس تكوين صورة عن تراثنا الشعبى بعناصره المختلفة •

١ ــ الكى :

لعل الكى بالنار من أبرز أساليب العلاج الطبى بعد الوصفات التقليدية • ولا جدال فى صعوبته وخطورته ومدى ما يتطلبه من تحمل وجلد • فهو « آخر الدواء » لا يلجأ اليه المريض ولا المحيطون به الا بعد أن تعييهم الحيل ، وتسد أمامهم كل أبواب العلاج التقليدية • وهو لذلك يمكن أن يستخدم فى علاج أكثر من مرض : لاوجاع الرأس ، لآلام المعدة ، ولوجع الظهر وغير ذلك • وما ذلك الا لانه آخر الدواء فى علاج

كل مرض من هذه الامراض ، وان كان أقرب الى تفكير المريض فى عدد من الامراض أكثر من غيرها كعرق النسا والروماتيزم • واذا كنا قد أشرنا من قبل الى تنوع ميدان الطب الشعبى الى نوع عام يمارسه كل الناس ونوع ربما أكثر تعقيدا أو تخصصا يمارسه الاطباء الشعبيون المحترفون، فاننا ننبه هنا الى أن عملية الكى من ذلك النوع المتخصص الذى يؤديه المحترفون أساسا •

٢ ــ الحجامة :

ويقدم لنا ابن الحاج وصفا لعملية الحجامة هدفها علاج « البرودة التى تكون فى الدماغ » يقول فيها : « ••• يأخذ من يشتكى ذلك محجمة طاهرة فيجعل فيها شيئا من الرماد أو الرمل ثم يأخذ جمرة من النار فيجعلها فوق ذلك • ثم يأخذ خرقة صغيرة ويبلها بالماء ، ويديرها على فم المحجمة لئلا يتأذى العضو بها ، ثم يجعل فم المحجمة على صدغه الايمن ويشد عليه ، ويميل رأسه عليها • ويمسك المحجمة بيده ان قدر ، والا فيمسكها بحائل يمنع من وصول الحرارة الى يده التى يمسكها بها • يفعل ذلك ثلاث مرات أو خمسا أو سبعا كل مرة بجمرة حتى تنطفىء تلك الجمرة ثم يفعل مثل ذلك فى اليوم الثانى على الصدغ الايسر • ثم كذلك فى اليوم الثالث على أعلى الجبهة من وسطها • ثم يفعل ذلك فى اليوم الرابع على موضع الحجامة من القفا • فان بقى فى الدماغ من البرودة شىء فتعاد المحجمة على الصفة المذكورة فيبرأ باذن الله »(٥٨) •

٣ ــ الحمصة :

والحمصة هى الاخرى من أساليب العلاج التى تتم فى الغالب الاعم من الحالات على يد شخص متخصص ، هو الحلاق غالبا ، وان كان من

---

(٥٨) ابن الحاج ، المدخل الى الشرع الشريف ، مرجع سابق ، الجزء الثالث ، ص ١٧٠ .

الممكن أن يقوم بها أفراد عاديون من المتمرسين بهـذه العمليات تمرسـا خاصا • وهى تقوم على اعتقاد أساسى مؤداه أن الحمصة التى توضـع فى فتحة خاصة تمتص عوامل المرض من جسم المريض • ويصفها أحمد أمين فى السطور التالية : « شـاهدت فى زماننـا الحمصـة ••• لبعض الامراض • فالحمصة كانت عبارة عن أن المزين (الحـلاق أو حـلاق الصحة) يفتح فتحة فى الذراع بمقدار ما يضع الحمصة ، ثم يضـع الحمصة ، ويضع عليها ورقة من الورق المقـوى ، ويربطها بمنـديل أو بشاش ويتركها هكذا حتى تمتص من الجسم بعض الفضلات • وكلما عطبت الحمصة غيرها بغيرها ، وهكذا • ويعتقدون أنها تشفى من الصداع ومن أمراض كثيرة »(٥٩) •

٤ ــ الدفن :

والمقصود دفن الشخص حيا طبعا (دون رأسه) ، وقـد يقتصر الدفن على جزء فقط من الجسم هو العضو المريض ، ذراعا أو ساقا واحدة أو ساقين •• الخ • وتتم عملية الدفن فى منطقة تتميز تربتها (طينتها) أو رملتها بمميزات خاصة ذات شهرة فى علاج أنواع معينة من الامراض• وهى تتم فى الغالب تحت اشراف شخص متخصص ، وان كان من الممكن أن تتم هكذا دون اشراف •

وقد قدم كلوت بك فى كتابه وصفا لعملية الدفن التى يسـتخدمها الشعب لعلاج مرض الزهرى(٦٠) ، يقول فيه : « ••• وهى أنهم يتجردون من ثيابهم ويدفنون أنفسهم الى الرقبة فى رمل سخنته الشمس بحرارتها ويبقون هكذا ساعات كاملة معرضين للحرارة الشديدة • ويكررون هـذه

---

(٥٩) أحمد أمين ، قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية ، مرجع سابق ، ص ١٨٠ •

(٦٠) من الاسماء الشعبية لمرض الزهرى : المبـارك ، وداء المغير ، والجمل ، والحب الافرنجى .

الحمامات الرملية نحو العشرين أو الثلاثين مرة أثناء العلاج على شرط الامساك عن تعاطى اللحوم والاقتصار فى التغذى على الخبز والعسل »(٦١) .

٥ ــ عمليات العيون :

لعل امراض العيون أكثر الامراض شيوعا لدى القطاعات الشعبية فى مصر ، وأشدها فتكا ، وأخطرها تأثيرا بعد الامراض المتوطنة المعروفة (خاصة البلهارسيا والانكلستوما) . ولذلك نجد طائفة عريضة من الوصفات الطبية الخاصة بالعين وكذلك مجموعة كبيرة من العمليات الجراحية والممارسات الطبية المتعلقة بالعين . وننقل فيما يلى بعض نماذج لتلك العمليات عن كلوت بك .

يصف كلوت بك عملية علاج الشعرة التى فى العين ، فيقول : « يجلس المريض تجاه الجراح فيدخل هذا الاخير بين العين والجفن ملعقة صغيرة من الباغة (البلاستيك) بحيث يمد الغضروف ... فى الوقت الذى يدفع فيه أحد المساعدين جلد الجبهة على شكل يتقلب معه الغضروف انقلابا خفيفا الى الخارج ونحو الجبهة العليا . فعندئذ يقوم الجراح بعمل حزين على حافة الجفن بالقرب من صف الاهداب بحيث يتصلان ببعضهما من طرفيهما المتجاورين ، وتنحصر بينهما اربة من الجلد تنتهى بزاوية حادة جدا . ثم تنتزع هذه الاربة ويترك الجرح نفسه ، فاذا التأم أفضى التئامه الى اتخاذ الاهداب الاتجاه الطبيعى . وهذه الطريقة بسيطة وصالحة ، وقد حصلنا بواسطتها على نتائج جليلة »(٦٢) .

ونعثر لدى كلوت بك على وصف لعدد من عمليات العين ، منها الى

---

(٦١) انظر كلوت بك ، لمحة عامة الى مصر ، مرجع سابق ، الجزء الثانى ، ص ٥٦١ .

(٦٢) كلوت بك ، لمحة عامة الى مصر ، مرجع سابق ، الجزء الثانى ، ص ٥٥٧ .

جانب العملية المذكورة عملية علاج انقلاب العين ، وعملية الكتاركت (أو الماء الساقط فى العين) (٦٣) .

وتحفل المصادر والمراجع المختلفة بمعلومات غزيرة عن عمليات أخرى كالبتر والختان والبزل وخلع الاسنان وغيرها من العمليات التى تمارس على نطاق واسع(٦٤) .

ومن المجالات الاخرى التى يبرز فيها العلاج الجراحى عمليات الفتق بأنواعها . ولا أعرف لماذا ينبه كاتب مثل كلوت بك الى بعض الآراء التى ترى أنه « لولا احتياط الفلاحين بضغط بطونهم بالأحزمة العريضة الجلدية لبلغ عدد الاصابات بالفتق فى مصر مبلغا فاحشا »(٦٥) . وربما كان يعتقد أصحاب هذا الرأى أن حمل الانسان للاحمال الثقيلة هو المسئول عن ذلك . ولعل الدليل على الانتشار الكبير لحالات الفتق الوصف الدقيق الذى قدمه كلوت بك لعملية رد الفتق ، والتى تشير اليها فيما يلى : « ... لانهم يستعينون على رد الاحشاء الساقطة من فتحة الفتق بالاصبع أو قطعة من الخشب . فاذا حدث للفتق اختناق فانهم لا يلجأون الى الآلات القاطعة ، بل يزاولون العمل بتلك الطريقة ، أى أنهم يضغطون على الفتق من فوق البشرة بقصد رده الى أسفل البطن »(٦٦) .

ولا يقتصر الامر على تلك العمليات البسيطة ، ولكننا نجد وضعا لعملية على جانب كبير من الخطورة والتعقيد كعملية استخراج الحصوة التى يشرحها كلوت بك ، فيقول : « ... وهم يلجأون فى القيام بها الى

---

(٦٣) انظر المرجع السابق ، ص ٥٨٤ وص ٥٨٥ .
(٦٤) انظر كلوت بك ، نفس المرجع ، صفحات ٥٨٢ ، ٥٨٣ ، ٥٨٩ ، ٥٩٠ ... وكذلك وليم لين ، المرجع السابق ، مواضع متفرقة .
(٦٥) كلوت بك ، المرجع السابق ، الجزء الثانى ، ص ٥٣٦ .
(٦٦) المرجع السابق ، الجزء الثانى ، ص ٥٨٦ ومواضع أخرى .

وسيلتين الاولى طريقة الشرج والاخرى طريقة العجان • وبحسب الطريقة الاولى يدخل الجراح المصرى فى الشرج السبابة والوسطى من أصابع يده اليسرى فيقبض بهما على الحصوة ويثبتها فى مكانها بين الاجزاء الرخوة ثم يدس بين ذينك الاصبعين نصل موس • فاذا وصل هذا السلاح الى سطح الحصوة عمل به حزا ليستخرجها من فتحته اما باصبعيه واما بالملقط •

وبحسب الطريقة الثانية يضع الاصبعين الآنفى الذكر من تلك اليد فى الشرج ويدفع بهما الحصوة الى مقدمة العجان دفعا يجعلها بارزة • فاذا أتم ذلك ثم عمل فى الحصوة حزا مائلا أو عموديا على الرغاية ضمد الجرح الناشىء عقب ذلك ، أو ضم حافتيه احداهما الى الاخرى ببعض خرزات الخياطة »(٦٧) •

أما البواسير فهى الاخرى من الاعراض المرضية الواسعة الانتشار، بسبب ظروف التغذية والعادات الغذائية الشعبية ، والعادات الصحية الشخصية • ودليل ذلك كثرة الوصفات الطبية التى تستهدف علاج البواسير أو تلطيف آلامها • ولكن اذا فشلت كل تلك الاساليب العلاجية التقليدية ، وظلت الاعراض المرضية على شدتها ، فلابد من اللجوء الى الجراحة • وليست تحت أيدينا أوصاف دقيقة لعمليات ازالة البواسير ، ولكننا نعرف من بعض المصادر أن الحلاق كان يقطعها بالموسى عندما يشتد بروزها وتضخمها(٦٨) •

وتمتلىء الكتب الطبية الشعبية وبعض كتب الرحلات بعشرات

---

(٦٧) كلوت بك ، لمحة عامة الى مصر ، مرجع سابق ، الجزء الثانى ، ص ٥٨٧ .

(٦٨) انظر على سبيل المثال : المرجع السابق ، الجزء الثانى ، ص ٥٣٥ . وانظر كذلك مقال نبيل صبحى الذى سبقت الاشارة اليه ، حيث يشير الى بعض هذه العمليات كما يصفها عبد الرحمن اسماعيل فى كتابه طب الركه (الجزء الاول) .

الاوصاف لعمليات جراحية مختلفة ، يلعب فيها خيـــال المؤلف ، أو تلعب فيها المبالغات بعض الدور ، مما يجعلنا لا نعتمـــدها هنا كشـــاهد على ممارسات طبية شعبية • بحيث أننا لم نورد فيما سبق الا ما اتفقت عليه عدة مصادر ، وأيدته الخبرة الواقعية قديما أو حديثا(٦٩) •

رابعا ــ العيون المائية وخصائصها العلاجية :

هناك الى جانب الوصفات الطبية العادية من عنـــاصر نباتيـــة أو حيوانية أو غيرها ، وخلاف العمليات الجراحية بأنواعها ، هنـــاك بعض العيون المائية ذات الشهرة الخاصة فى علاج بعض الامراض • وبعض تلك الآبار ــ مثل بئر زمزم ــ يمكن أن يفيد فى علاج أى مرض ، والبعض الآخر يشتهر فى المعتقد الشعبى بكفاءة عالية فى علاج هذا المرض أو ذاك•

بئر زمزم :

من المعروف أن بئر زمزم لها مكانة دينية تفوق شهرتها العلاجيـــة التقليدية • ومع ذلك فان هناك عديدا من الشواهد من كتب التراث ومن الحكايات التى يتناقلها الحجاج عن القدرات العلاجية الفائقة لتلك العين المقدسة • ونقرأ عند النويرى النص التالى حول بئر زمزم : « ••• عن

---

(٦٩) من هذا النوع الاسلوب الثانى فى البتر الذى يتحـــدث عنه ابن بطوطة فى رحلته فيما يلى : « ... كان فى القافلة تاجر تلمسانى يعرف بالحاج زيان . ومن عادته أن يقبض على الحيات ويعبث بها ، وكنت أنهاه عن ذلك فلا ينتهى (لاحظ هنا شهرة المغاربة التقليدية بالقدرات السحرية الخاصة ، ومنها القدرة على التعامل بسهولة مع الحيات) . فلما كان ذات يوم أدخـــل يده فى جحر ضب ليخرجه ، فوجد مكانه حيه ، فأخذها بيده ، وأراد الركوب فلسعته فى سبابته اليمنى . وأصابه وجع شديد فكويت يده . وزاد ألمه عشى النهار ، فنحر جملا وأدخل يده فى كرشه ، وتركها كذلك ليلة . ثم تناثر لحم اصبعه فقطعها من الاصل » . انظـــر كرم البستانى ، رحلة ابن بطـــوطة ، ١٩٦٠ ، ص ٦٧٦ .

الضحاك بن مزاحم أنه قال : بلغنى أن التضلع من ماء زمزم براءة من النفاق ، وأن ماءها يذهب بالصداع ، وأن التطلع فيها يجلو البصر(٧٠) . وأنه سيأتى عليها زمان تكون أعذب من النيل والفرات(٧١) . قال : قال لنا الخزاعى : وقد رأينا ذلك فى سنة احدى أو اثنتين وثمانين ومائتين . وذلك أنه أصاب مكة أمطار كثيرة وسال واديها فى سنة تسعة وسبعين وسنة ثمانين ومائتين . فكثر ماء زمزم وارتفع حتى قارب رأسها ، فلم يكن بينه وبين شفتها العليا الا سبع أذرع أو نحوها . وعذبت حتى كان ماؤها أعذب مياه مكة التى بشر بها أهلها . وانا رأيناها أعذب من ماء العيون »(٧٢) .

وهناك علاوة على ذلك عيون أخرى لها شهرة كبيرة فى علاج مختلف الامراض ، نذكر منها عين حلوان ، وبئر الماء الذى شربت منه العذراء فى مسطرد ، وعين الصيرة(٧٣) ، وبئر اليرقان التى يحكى لنا عنها وليم لين، فيقول : « ويعالج الكثير من أهل القاهرة مرض اليرقان بالشرب من ماء « بئر اليرقان » . وهو بئر تمتلكه عجوز وتجنى منه فائدة كبيرة . فللبئر فوهتان أسفل احداهما وعاء جاف للأشياء التى يقذف بها ، فتطلب العجوز ممن يرغب استعمال الماء الطبى أن يسقط خلال هذه الفوهة ما تحتاج اليه من سكر وبن »(٧٤) .

---

(٧٠) من الواضح من سياق النص ان صورة البئر التى يتحدث عنها الضحاك تختلف عن صورتها الحالية التى يعرفها عنها الحجاج ، فلم تكن وقتذاك قد غطيت واعتنى بها وأقيمت عليها الحنفيات كما هو الوضع حاليا .

(٧١) ما تزال العقلية الشعبية ترى النيل والفرات أعذب مياه الارض كافة ، سواء من حيث طعمها أو خصائصها العلاجية ، أو سهولة هضمها واستيعاب الجسم لها . ولا يتحرج الكاتب من أن يصف ماء زمزم بأنه سيصل يوما ما الى حلاوة ماء النيل .

(٧٢) انظر شهاب الدين النويرى ، نهاية الارب فى فنون الادب ، مرجع سابق ، الجزء الاول ، ص ٣١٨ .

(٧٣) أحمد أمين ، القاموس ، مرجع سابق ، ص ٢٩٤ .

(٧٤) وليم لين ، المرجع السابق ، ص ٢٢٨ .